المحاضرة 4: انعكاسات هذه الثورات على البلاد

مقدمة:

لقد كان لحركة الانقلابات والتمردات وإعلان الثورات على السلطة العثمانية انعكاسات كبيرة، فبالرغم من أن هدفها كان تغيير الأوضاع للأحسن الا أن الفترة الحساسة التي قامت فيها قد عجلت بعصف رياح الانهيار التدريجي للحكم العثماني وفتح المجال أمام فرنسا لتضع يدها على الجزائر، فماهي الانعكاسات التي خلفتها هذه الثورات على البلاد؟

1: انعكاسات الثورات على البلاد سياسيا وعسكريا:

ان هذه الثورات والانقلابات بالرغم من أنها داخلية الا أن صداها قد تخطى حدود ما وراء البحر الأبيض المتوسط، خاصة وأنها كانت في فترة حساسة زاد فيها التكالب الأوروبي من أجل الحصول على مناطق نفوذ جديدة خارج أوروبا ولأجل ذلك كانت الجزائر محل نزاع وتنافس بين فرنسا وانجلترا من أجل الحصول على امتيازات بها، وفي هذا الشأن شاع بين كثير من الناس بأن ابن الأحرش له علاقة مع الفرنسيين، في حين اعتقد البعض الآخر بأن له علاقة مع الانجليز خاصة بعدما أصدر أوامره للسفن التابعة له بعدم تعرضهم للبواخر الإنجليزية[1] هذا أدى الى زعزعة علاقته بالسلطة التي رأت فيه خائنا لها.

توتر العلاقات بين السكان والأقلية التركية والتي أصبحت تتسم بالعداء والنفور المتبادل مع انعدام الثقة بين الطرفين[2].

اثارة النعرات والفتن مع الدول المجاورة خاصة عندما قام أحد أتباع الطريقة الدرقاوية وهو عبد القادر الشريف ضد باي وهران ودعا أهل تلمسان الى مبايعة سلطان المغرب مما أثار الفتن داخل السلطة وأدى الى توتر العلاقات[3] .

---

[1] الشيخ لكحل: ثورات الجزائريين ضد الأتراك العثمانيين خلال العهد العثماني، ثورة ابن الصخري نموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 14، عدد02، 2022، ص 57.

[2] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، البصائرالجديدة للنشر والتوزيع، (د.س)، ص 40.

[3] أحمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار...، المرجع السابق، ص 185.

كما يذهب البعض الى أن حمودة باشا استغل الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة وحرض ابن الأحرش على نزع الحكم من يد الأتراك واعدا إياه بتقديم يد المساعدة وقت ما يحتاج الها[1].

أدت هذه الثورات الى فتح شهية الدول المجاورة، كما ساهمت في اضطراب العلاقات ونظرا للأوضاع المزرية التي كانت تعيشها الايالة أرسل حمودة باشا جيشا من أجل غزو الجزائر ونشبت على اثرذلك معارك طاحنة[2].

كانت هذه الثورات سببا في اضعاف نفوذ البايلكات بالأرياف وعزلها عن المدن، ناهيك عن الخسائر في الأموال والأرواح والأسلحة، فقد نتج عليها الفقر والمجاعات ودمرت المحاصيل وقطعت الطرق التجارية بسبب انعدام الأمن، كما كانت هذه الثورات محفزا لحكام الأرياف الذين اقتنعوا بفكرة القيام بثورات ضد العثمانيين ورفض الامتثال لأوامرهم مع الامتناع على دفع الضرائب، وبالتالي اضعاف الجهاز السياسي والعسكري[3].

كثرة الاضطرابات داخل جهاز الحكم خاصة خلال المرحلة الأخيرة من عهد الدايات الذين أصبحوا يتعرضون للاغتيالات المفاجئة بسبب تردي الأوضاع الداخلية والخارجية، اذ أن الداي معرض للقتل والتصفية في أي وقت ودليل ذلك الدايات الست الذين قتلوا في يوم واحد[4].

وتذكر بعض المؤلفات بأنه للمحلات دور كبير في تردي الأوضاع فعندما تقوم بجمع الضرائب تترك وراءها السكان في حالة دمار وخراب وذلك بعد أن تجمع ما تريده، وعلى اثر ذلك يتضرر السكان من هذه السياسة الاستفزازية، كما أن بعض المحلات كانت تستخدم القوة مما يؤدي الى خسائر فادحة في الأرواح[5].

---

[1] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني...، المرجع السابق، ص 91.

[2] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 165.

[3] الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 57.

[4] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص ص 97-98.

[5] أرزقي شويتام، طبيعة...، المرجع السابق، ص 121.

شيوع ظاهرة العصيان لدى كثير من القبائل فمثلا قبائل الزواوة القريبة من دار السلطان كانت دائما في حرب مستمرة مع السلطة، اذ أن هذه الأخيرة لم تتمكن من اخمادها جميعا والسيطرة عليها [1]، في حين رفض البعض الآخر الاعتراف بسلطة العثمانيين.

كان بعض الثوار سببا في إبادة قبائلهم وعائلاتهم الأبرياء وذلك بسبب اعتماد السلطة سياسة الانتقام، وخير دليل على ذلك ما ذكرناه سابقا اذ قامت السلطة العثمانية بصلب رجال من جبل موزاية بسبب أنهم لم يقروا على القاتل الذي قتل العسكري فكان جزاءهم الموت جميعا [2]، وكل قبيلة وجدت فيها جثة يتعرض جميع سكانها الى العقاب وان لم يجدوا القاتل يدفعون جميعا ضرائب قدرها (ألف سلطاني) توزع على ورثة الشخص المقتول، وان لم يكن له ورثة يذهب المال الى صندوق بيت المال ، ومنه نستنتج بأن أفراد مسؤوليين جميعا على الجرائم التي يرتكبها شخص واحد ، وبالتالي زرع الخوف والهلع فيوسطهم[3].

تراجع مكانة الايالة خاصة بعد انهيار المجتمع وتردي الأوضاع السياسية والاقتصادية بسبب تشبث العثمانيين بالمناصب واحتكارهم لها رافضين فكرة المساواة مع السكان ، حيث أصبحوا يتعاملون معهم بكل حذر وترفع وخوف شديدين وقد مس هذا الأمر حتى طبقة العلماء والصوفية[4].

اعتماد أسلوب تجهيز حملات عسكرية مهمتها التأديب والاخضاع القسري وفرض الحصار مع اتباع أسلوب التقتيل والتنكيل كلما استدعت الضرورة لذلك، وبالتالي معظم التمردات والثورات التي شهدتها الايالة أواخر الحكم العثماني تم سحقها عسكريا رغم كثرتها وانتشارها، مع اعتماد أسلوب الأسر والقتل والسبي للنساء والأطفال مما أحدث القطيعة بين الحكام والمحكومين[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص 119.

[2] حبيبة عليليش، المرجع السابق، ص 74.

[3] نفسه، ص 74.

[4] عبو إبراهيم: الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، متون العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، العدد الثالث، ديسمبر 2016، ص 204.

[5] حبيبة عليليش، المرجع السابق، ص ص 72-73.

2: انعكاسات الثورات على البلاد اجتماعيا واقتصاديا:

ان السياسة المتبعة الخاصة بدفع الضرائب كانت لها عواقب وخيمة خاصة مع عجز السكان على دفعها لأنها كانت في أغلبها اجبارية ، وقد عرضهم ذلك الى سطوة قبائل المخزن ، يضاف الى ذلك انتشار الأوبئة والأمراض الخطيرة بسبب غياب الاهتمام وعدم وجود المستشفيات[1].

تعرض السكان للتعنيف والاهانات المتكررة على يد الحاميات التركية، كما تعطلت مظاهر الحياة في الجزائر وصعبت المعيشة وساد الجفاف وانتشرت المجاعات والأوبئة بسبب غلاء المعيشة حتى خرجت الأمور عن السيطرة ومات السكان جوعا[2].

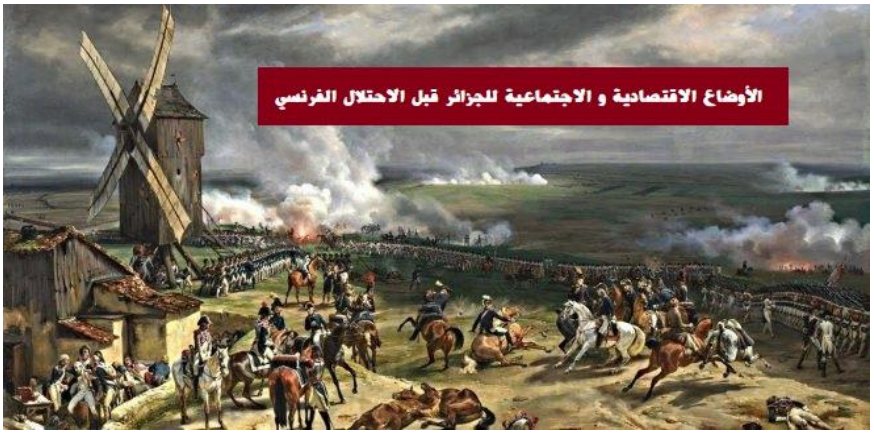

بعد الاضطرابات التي شابت البلاد هاجر الكثير من السكان من أراضيهم وممتلكاتهم واتخذوا من الترحال طريقا لهم باحثين عن مأوى ومأكل[3].

في عهد الداي حسين استلم الجانب التجاري اليهود بعد أن كسبوا ثقته وكانت غايتهم في ذلك تحقيق مآربهم ، اذ استفادوا من الظروف الدولية وتوتر العلاقات مع أوروبا حتى أنهم كانوا يقومون بمهمة الجوسسة وتقديم معلومات الى الدايات حول تحركات الدول الأجنبية وتقديم الرشاوي من أجل الحصول على أعلى المناصب[4].

---

[1] عبو إبراهيم، المرجع السابق، ص 203.

[2] عطية محمد، المرجع السابق، ص ص 632-633.

[3] الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 56.

[4] بابه عائشة، حساني مختار، المرجع السابق، ص 353.

معاناة خزينة الدولة بسبب زيادة الأسعار وغلاء المواد المجهزة المستوردة، في مقابل ذلك تراجع أثمان المواد الأولية المصدرة وبالتالي اضمحلال المدخول المالي للدولة الذي أراد الدايات وأتباعهم تعويضه عن طريق استنزاف ضرائب من الرعية والذي تم تقسيمه على عدد من الضرائب الموزعة على عدة مجالات كان ذلك سببا في تزايد سخط الشعب عليهم[1].

كسب اليهود ثروات طائلة نتيجة أعمالهم الفاسدة التي جنوها مقابل تلاعبهم على الدايات والبايات، كما أنهم كانوا في بعض الأحيان يأخذون القمح مقابل أعمال يقومون بها بدلا من المال ثم يبيعونه لفرنسا بسعر زائد[2].

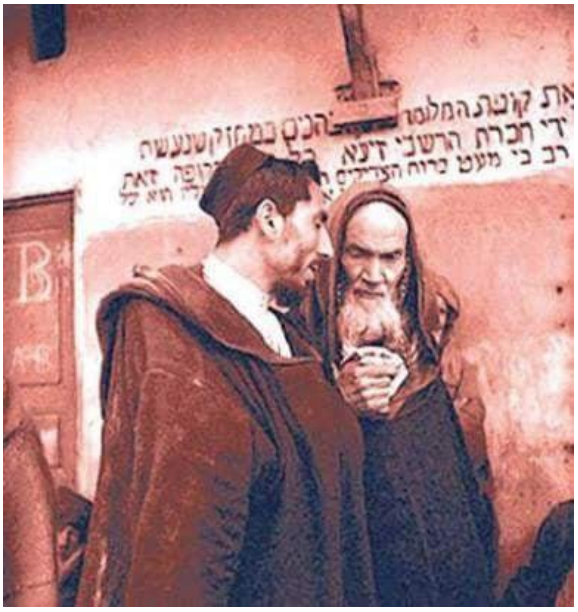

ساهمت هذه الثروات في تراجع مكانة الجزائر وبذلك أصبحت فرنسا تطالب بدفع تعويضات على كل الخسائر التي تسببها لسفنها سواء عن طريق الحجز أو التعرض و الضرب ، إضافة الى المطالبة بمعاقبة الوزراء المسؤولين عن هذه الحوادث بعدما كانوا من قبل يترددون من أجل الحماية وجلب الهدايا، كما أن لهجتهم زادت قليلا اذ أصبحوا يطالبون باطلاق سراح أسراهم[3].

---

[1] نفسه، ص 357.

[2] أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 14-15.

[3] المرجع نفسه، ص ص 19-20.

تعرضت الفلاحة الجزائرية أواخر العهد العثماني نتيجة لهذه الثورات الى عدة مشاكل وصعوبات أدت الى ركودها، فبالرغم من أنها كانت تعتمد على وسائل بدائية قبل اندلاع الثورات أصبحت بعدها معدومة بسبب الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح خاصة وأنه عرضة للحملات العسكرية ومهدد من طرف قبائل المخزن المسلحة، إضافة الى أنه كان عرضة للأمراض والمجاعات التي تعيشها البلاد من حين لآخر[1].

أما بالنسبة للنشاط الصناعي فقد ظل هو الآخر متواضعا ولا يتعدى الصناعات المحلية البدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة[2].

ساهمت هذه الثورات في اضعاف السلطة العثمانية والعيش في فوضى وعدم الاستقرار نتيجة كثرة الاغتيالات والمؤامرات داخل هرم السلطة والموظفين، كما عرفت الأقاليم هي الأخرى الفوضى وبالتالي انهيار الجهاز السياسي، العسكري، الاجتماعي ، الاقتصادي كان سببا في سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي[3].

[1] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 32-33.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] بابه عائشة، حساني مختار، المرجع السابق، ص 356.

خاتمة:

من خلال ما أشرنا اليه سابقا يمكن القول:

أن السياسة العثمانية في الجزائر قد احتكرت السلطة على نفسها وجعلت السكان بعيدين كل البعد عنها والرابط الوحيد بينهما هو استنزاف الضرائب والجبايات من أجل ملء الخزينة.

استعمال القوة والعنف والتقتيل الجماعي في عمليات الحصول على الضرائب مما ولد الحقد والعداوة بين السلطة والرعية التي بدأت تحس بالظلم والاستعباد، في حين منحت امتيازات للدول الأوروبية واليهود للتمتع بخيرات الجزائر التي حرم منها أبناؤها.

أدت الثورات الى احداث شرخ داخل الجهاز العسكري والسياسي واضعاف الدولة ساهم في فتح شهية الدول الأجنبية ودول الجوار اذ أظهروا نيتهم ورغبتهم في احتلال الجزائر.

تراجع الانتعاش الاقتصادي وانتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات ، إضافة الى هجرة السكان للبحث عن مصادر عيش بعد أن تعرضوا لويلات العذاب في بلادهم.